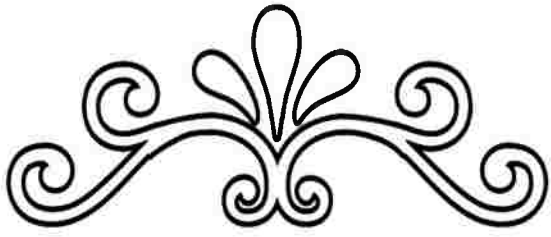

الباب الثالث

أين الخَلل؟

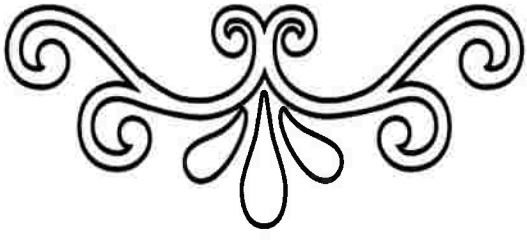

◘ أين الخلل؟

سؤال مهم؟!

• إنَّ العَيْب لا يَكْمُن فقط في النظم القائمة، بل هو في الأفراد والمجتمعات أكثر.

• ماذا يحدث لو كان الحكام والأفراد والرؤساء في النظام في السعوديَّة أو في مصر وليبيا والمغرب واليمن والسودان والعراق وفلسطين وغيرهم قائمين بحُكْمِ الله تعالى وشريعته، وأقاموا العدل كما أمر الإسلام، وقاموا بتوفير المناخ لاحترام كرامة الإنسان وحفظ كرامته، مع العمل على أداء واجباته، وعدم استبداد الشعوب، وعدم أكل أموالهم بالباطل، والقيام بالعدالة بين الناس، والعمل على الرُّقيِّ بالتعليم والصحَّة، وعدم الترف الزائد عن الحدِّ، وألَّا يُحجَبون عن شعوبهم؟!

• ماذا لو لم يعرفوا المحاباة أو المجاملة، وطبّقت الحدود والقوانين على الأمير والخفير، والغني والفقير، والسيد والعبد، والرئيس والمرؤوس؟

لماذا نستورِدُ نظامًا يفرض علينا الفُرقة والتحزُّب ونحن الأمَّة الواحدة، ويعمل على تقسيم الشعب الواحد إلى أحزاب وفرق وجمعيَّات وحركات، وبثِّ العصبيَّات والقوميَّات والفِتن والحروب؟!

• إنَّ العَيْب يَكمُن في الأفراد التي تحكم، سواءً حكمت في ظل نظام ملكيٍّ، أو رئاسيٍّ، أو برلمانيٍّ، أو غير ذلك.

• وفي هؤلاء الأفراد الذين عرفوا المحسوبيَّة، وقسَّموا المجتمعات إلى فئات ودرجات ومحسوبيَّات، والذين عبثوا بثروات البلاد، وهرَّبوها، وأودعوها في بنوك الأعداء الذين يظنون أنهم أصدقاء.

• وفيمن لا يُمَيِّز العدوَّ مِنَ الصَّديق، ورحم الله مَنْ قال: «**إِنَّ مَنْ طَلَبَ الخَيْرَ مِنْ أَعْدَائِهِ أَهَانَ نَفْسَه، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَه**».

والله ﷻ قد أخبرنا، وقوله الحق، ومَنْ أصدق مِنَ الله قيلًا: ﴿**وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا**

﴿النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقال أيضًا: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

• إنما العَيْبُ فيمن فتح المعتقلات، وكَبَتَ الحريَّات، فما أفلح في صناعة ولا زراعة، وما تقدَّم بشعبِهِ خطوة نحو الأمام.

• إنما العَيْبُ في الأفراد الذين حكموا البلاد بالحديد والجبروت والقهر والإذلال والنار لشعوبهم.

• وربما يقول قائل: إنَّ النظامَ الدِّيمُقراطِيَّ يضع الضوابط لمحاسبة الحكام، أقول هذا جيد وجميل ومِنْ محاسن هذا النظام، ولكن ما السبيل إذا كان المحاسِبين للولاة تابعين وموالين لهم، ومِنْ أنصارهم ومؤيِّديهم، ملوَّثين معهم في السَّرِقات والرَّشاوي والمحسوبيَّة وغيرها.

إنَّ كثيرًا مِنَ الحكومات تُخفي فشلها في السياسات وإدارة البلاد والعباد، وسرقات ثروات شعوبهم، وفشلها في إدارة البلادهم وتحقيق التنمية والرفاهية والسلام الاجتماعي، وراء الإرهاب ـ الذي يصنعونه هم ـ ستارًا لفشلهم وظلمهم، وقد يخترعون مشاكل مِنَ الفتنة الطائفيَّة، والانفجار السكانيِّ، والإرهاب، وغير ذلك مِنَ العلل التي يُخفون وراءها فشلهم الذريع لأعمالهم التي لا تَخفَى على أحد.

• ثمَّ إنَّ هذه المِيزة في النظامِ الدِّيمُقراطِيِّ مأخوذة مِنَ النظام الرَّبَّانيِّ في الإسلام، فلقد حاسب النَّبيُّ ﷺ مَنْ أرسله لجمع الزَّكاة عندما قال له: هذا لكم، وهذا أُهدِيَ لي، فقام النَّبيُّ ﷺ وقال: { **فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَيَنْظُرُ أَيُهْدِي لَهُ أَمْ لَا** }(١).

وكذا في الخلافة الرَّاشدة التي سارت على النهج الأول، حيث تجلَّتْ في محاسبة الصِّدِّيق والفاروق للوُلاةِ على القِنطار والقِطمير.

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الأحكام، ب: هدايا العمال، ح (٧١٧٤)، ومسلم: ك: الإمارة، ب: تحريم هدايا العمال، ح (١٨٣٢) مِنْ حديث أبي حميد الساعدي ﷺ.

• إنها السُّنَن التي يجهلُها كثيرٌ مِنَ الناس، وجهلهم بها لا يمنع وقوعها.

• لقد أخطأَ حُكَّام المسلمين والعرب خطأً فادحًا، ودفعوا وسوف يدفعون ثمنًا باهظًا. ذلك الخطأ هو تبنِّيهم سياسات ونظمًا تجاهلت الإسلام «**القرآن والسُّنَّة**»، تجاهلت الإسلام الصحيح على طول الخط؛ بل وعادَتْهُ في بعض النظم، وحاربت العلماءَ والدُّعاة والمشايخَ، وتظاهروا بالإسلام الراديكالي، أو الإسلام الأمريكي، أو الصوفي، فنشأت أجيال متعاقبة مقطوعة الصِّلَةِ بِهُوِيَّتِها وإسلامِها؛ أجيال بلا هُوِيَّة، ولا تربية إسلاميَّة، ولا وطنيَّة، إنهم لا ولاء لهم.

حُكَّام ساس لهم الغرب سياساتِ الاستبداد والحكم بالحديد والنار حتى تَكْرَهَهُم الشعوب، ويتطلَّعوا إلى مَنْ يخلِّصهم منهم، حتى ولو كانوا أعداءَهم.

• هذه الأجيال هي القُنْبلةُ الموقوتة تجاه هؤلاء الحكام، أجيال نجحت على مدار سنوات بالغِشِّ، وتربَّت في أحضان الماديَّة حِينًا، والليبراليَّةِ حِينًا آخر، والاشتراكيَّة تارة، والعلمانيَّة تارة أخرى، كل ذلك في ظلِّ انفتاح على العالم، وعولمة ونظام عالميٍّ جديد، أرادوا به الحدَّ مِنْ عالميَّة الإسلام ورسالته السَّامية، فلم يتعلَّموا مِنْ عالميَّة الإسلام وكيفيَّة إخضاعه العالم للحقِّ والهدى والرَّشاد، فقلَّبوا الأمور وأخذوا الكيفيَّة وفرَّغوها مِنَ المضمون؛ وجاءونا بعولمة الشهوات والشبهات، والرَّدَى والضَّلال.

• أجيال تربَّت في سنواتٍ عِجاف في ظلِّ دولٍ تابعة في كل شيء، غير متبوعة في شيء، مع أنَّ هذه الأجيال إنما خُلِقَت لتكون متبوعةً وليست تابعة.

• إنَّ المأساة التي تحياها الشعوب في ظلال الربيع العربي ليست وليدة الحاجة إلى استيراد نظام يزيد مِنَ المآسي والآلام والأوجاع بقدر ما هي في حاجة إلى نظام يجمع شملها، ويُوحِّد كلمتها، ويحافظ على هُوِيَّتها، ويأخذ بها إلى سُلَّمِ الرُّقيِّ والتقدُّمِ والحضارةِ [١]. ورحِمَ اللهُ مَنْ قال:

---

(١) للمزيد نُرشدك إلى قراءة سلسلة كتبنا: «ثورات الربيع العربي في الميزان».

بَنَيْنا حِقبةً في الأرضِ مُلكًا *** يُدَعِّمُهُ شبابٌ طامِحونا
شبابٌ ذَلَّلوا سُبلَ المَعاني *** وما عَرَفوا سِوَى الإسلامِ دِينا
تَعَهَّدَهُمْ فَأَنْبَتَهُمْ نَباتًا *** كَريمًا طابَ في الدُّنْيا غُصُونا
وإنْ جَنَّ المساءُ فَلا تَراهُمْ *** مِنَ الإشْفاقِ إلا ساجِدِينا

• ولقد قال الله تعالى لنا: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾، ثم حدَّد لنا الطريق ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ لمن أراد الاستقامة ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾.

❁ ❁ ❁

• هل فَصْلُ الدين عن الدولة هو الذي يحقِّق لنا الحقوق، ويجعلنا نمارسها في عالم الواقع؟!

• وللإجابة عن هذا السؤال نسوق تجربة الحُكْم العَلمانيِّ الذي غرقت فيه الأمَّة خلال قرن مِنَ الزمان أو أكثر، كَم مِنَ المظالم السياسيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة ارتُكِبَت فيه؟ فأين ذهبت ضماناته؟!

ومتى حصلت الأمَّة المسلمة على مكاسب وحقوق وتقدُّم بعد سقوط الخلافة، وتنحية الحكم بشريعة الله تعالى، وحُكِمَتْ بالدساتير المجلوبة مِنَ الغرب؟!

❁ ❁ ❁

ليس العلاج أو الخروج مِنَ الأزمة، أو المَخْرج مِنَ الفتنة في فصل الدين عن الدولة، وإخراج السياسة مِنَ الدين؛ فالأمَّة التي فرَّطت في دين ربِّها وضماناته لها، لن تحرص على الضمانات التي تحملها الدِّيمُقراطِيَّة أو غيرها مِنْ نُظُم الحكم الغربيَّة.

إنما تعمل الضمانات مِنْ خلال البشر الذين يؤمنون بها، ويتربَّون على ممارستها في عالم الواقع، وعلى عدم التّفريط فيها، حتى تصبح جزءًا مِنْ كيانهم الحيِّ الذي يعيشون به.

• والنظم لا تُؤتي ثمارَها ولا تُعطي ضماناتِها إلَّا مِنْ خلال التربية والعقيدة الصحيحة.

فما الذي يجعلنا نبذل الجهود المضنية في نظام لا يوافق عقيدتنا ولا يُرضي ربنا، ولا يتناسب مع تربيتنا وآخرتنا؟!

حتى لو فرضنا جدلًا أننا نكسب فيه دنيانا ـ بينما نحن ـ لو قُمنا بالتربية على العقيدة الحقَّة فإننا نملك الدنيا والآخرة، والجهد المطلوب في التربية على نظام الإسلام هو ذات الجهد المطلوب للتربية على غيره، بينما الثمرة خلاف الثمرة، والمذاق غير المذاق.

❁ ❁ ❁

• إنها لحماقة لا يُقْدِم عليها عاقل، أنْ نَتْعَبَ في تجارة خاسرة، يعود ريعها ومكاسبها لأعدائنا، بينما نخسر نحن في نهاية المطاف. وصدق الله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ [البقرة].

• بينما نحن يمكننا بذات الجهد أنْ نربح الكثير، وصدق الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الصف].

• اللَّهم مكِّن لنا ديننَا الذي ارتضيتَه لنا، وافتحْ له قلوبَنا وقلوبَ الناس[1].

❁ ❁ ❁

(١) راجع كتاب «الأمَّة الإسلاميَّة مِنَ التبعيَّة للريادة» د. محمد بدري، وكتاب «العلمانيون والإسلام» محمد قطب.

وقفة مع التجربة الدِّيمُقراطِيَّة في البلاد العربيَّة:

• لم تعرف شعوب العالم الحرية مُنذ الفراعنة الذين استعبدوا الناس، وجعلوا مِنْ أنفسهم آلهة، وكانت الشعوب تعبدهم بمحض إرادتهم، وهم خاضعون لسلطان هؤلاء وعقيدتهم مهما غيَّروا أسماءهم أو عقيدتهم، وانتشر بين الناس **مقولة**: «**الناس على دين ملوكهم**».

ثم جاء عهد الرُّومان فاحتلوا البلاد لمدة سبعة قرون، أذاقوا الشعوب فيها ألوانًا مِنَ الذلِّ والهوان، وقاموا بتقسيم الناس إلى طبقات، حتى جاء الفتح الإسلاميُّ فبعث الأمل والطمأنينة، وبدأ الناس يلتقطون أنفاسهم بعد قرون طويلة مِنَ المعاناة، وتخلَّصوا مِنْ صراعهم السياسيِّ والعَقَديِّ مع الرُّومان، وازدهرت حركة الحياة، وساد العدل، وأصبح الناس أمَّة واحدة، لا فضل فيها لعربيٍّ على أعجميٍّ إلَّا بالتَّقوى والعمل، وعاش أصحاب العقائد الأخرى في جوار الإسلام آمنين مطمئنين، وسار الناس يختارون المكان الذي يطيب لهم العيش فيه دون سدود أو حدود أو إذن انتقال أو جوازات.

ولم تستأثر مكة المكرمة أو المدينة النَّبويَّة بالحكم، فانتقلت الخلافة إلى دمشق، وبغداد، ومصر، والآستانة، دون أنْ يشعر أي مواطن بأي غضاضة.

يقول الأستاذ **حامد سليمان** حفظه الله: «هذا هو المكسب العظيم الذي لم يتكرَّر بعد زوال الخلافة الإسلاميَّة: كانت الدولة الإسلاميَّة الممتدة مِنْ فارس شرقًا إلى موريتانيا غربًا دولة واحدة بلا حدود، ينتقل بينها المواطن المسلم وغير المسلم بلا جوازات، وتهاجر عبر حدودها رؤوس الأموال والثروات في حريَّة، بلا جمارك ولا قيود، ويتلاقَى في عواصمها المفكِّرون مهما كانت أصولهم أو جنسيَّاتهم، ولذلك نبغ العالم الإسلاميُّ. واشتهر البخاريُّ (صاحب الصحيح) مِنْ بُخارَى، والإمام مسلم (صاحب الصحيح) من نيسابور، من فارس، والشافعي الإمام مِنْ فلسطين، والفخر الرازي (صاحب التفسير) مِنْ تركستان، والليث بن سعد (الفقيه المعروف) مِنْ مصر»[1].

---

(١) كتاب «هذا الزمان»، ص (٢٩-٣٠).

• ثم حدث الشدُّ والجذب المعروف في الحكم الإسلاميِّ في فترات كثيرة حتى بدأت الخلافة في الانهيار، وبدأت العَلمانيَّة تطلُّ برأسها على البلاد الإسلاميَّة.

وعلى سبيل المثال: جاء **محمد علي** واعتبر نفسه المالك الأوحد لأرض مصر، وأراد ضمَّ الحجاز ودول أخرى، واسْتَعْبَد هذه الشعوب لتحقيق طموحاته الكبرى في تدمير الدولة العثمانيَّة، ليحصل على المُلك هو وأولاده، وتأمَّلْ ردَّ **الخديوي توفيق** على **أحمد عرابي** عندما حاول أنْ يعترض على ولاء الخديوي للإنجليز، وسيطرتهم على الأمور، فقال له الخديوي: «**إنَّ مصر ومَنْ عليها مِلك لنا، وما أنتم إلَّا عبيدُ إحسانِنا**»، فردَّ عليه **أحمد عرابي** مقولته الشهيرة: «**لقد ولدتنا أمهاتُنا أحرارًا، ولنْ نُستعبَد بعد اليوم**» ثم استمرَّ الوضع مِنْ سيِّءٍ إلى أسوأ، حتى جاءت ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢م في مصر، وبدأت الدعوة إلى القوميَّة العربيَّة، وتحقيق العدالة الاجتماعيَّة، والتحرُّر مِنْ نفوذ الأجنبي، لكنها كانت مجرد شعارات، وبدأ **عبد الناصر** في قمع شعبه بالقهر والتعذيب والاعتقال، وكان هذا الشعب وقودًا لمغامراته العسكريَّة في: الكونغو واليمن وسيناء، وتحول إلى نظام استبداديٍّ، وحاكم مُستبدٍّ، وفُتِحَت المعتقلات والسجون، ومارسوا أبشع عمليَّات التعذيب في السجن الحربيِّ، وسجن القلعة، وأذاقوا الناس الذُّل والهوان والجوع والمرض، مع أنك إذا سمعت **عبد الناصر** سمعته في كل خطبة يتكلَّم عن: الدِّيمُقراطِيَّة وحريَّات الشعوب، وعن مدى شفقته على جماهير الشعوب العربيَّة المخدوعة، وأُطلق عليه كذبًا وزورًا: (**مُحرِّر الشعوب، قاهر الاستعمار، زعيم الأمَّة العربيَّة**)، بينما هو يمارس مع شعبه أفظع صور القَهْر والإذلال والاستبداد، وهَدْم الدين، وهزيمة العقيدة مع الرجولة في نفوس الناس، فأدخل الاشتراكيَّة، وانتشرت وسَرَت الشيوعيَّة والإلحاديَّة بين أبناء البلد المسلم، ودرسوا في المدارس الثانويَّة نظريَّة داروين (النشوء والارتقاء)، وحوصِرَ الدِّين، وحورِبَ العلماء والدُّعاة.

• عرفته سوريا فلم تتحمَّل الوحدة معه، وكان الانفصال، واستوعبته إسرائيل فعَلِمَت

أنَّ **عبد الناصر** لا يستطيع أنْ يهزمها بجيش يقوده عَبِيْدٌ مِنْ حواريه، وليس سادة مِنْ الجنود المستعدِّين للدفاع عن بلد حرٍّ كريم، فجاءت نَكْسَة عام ١٩٦٧م، أشنع وأبشع هزيمة عسكريَّة في القرن العشرين.

• مات **عبد الناصر**، ثم جاء **السادات** فقلب المائدة على الجميع، ولعب بورقة الدِّيمُقراطِيَّة حتى ملَّ وسَئِم منها، وأطلق مصطلح: «**ديمقراطيَّة الأنياب**»، وظهرت أنيابها المفزِعة بمعاونة أجهزة القمع المتعدِّدة بعيدًا عن الرقابة والعدالة، وظلَّت قابعة في حماية قانون الطوارئ المغلَّف بديكور ديمقراطيٍّ.

• ثم جاء **حسني مبارك** الذي كان يصرِّح كل حين بأنه لا علاج لمشاكل الدِّيمُقراطِيَّة إلَّا بمزيد مِنْ الدِّيمُقراطِيَّة، ولم يرفع قانون الطوارئ طوال فترة حكمه يومًا واحدًا.

وتحوَّلت المؤسَّسات العسكريَّة التي تحوي آلاف الضباط الذين تحوَّلوا إلى رؤساء مجالس إدارات للشركات، ومحافظين، ورؤساء أحياء ومجالس شعبيَّة، ونواب مجلس شعب، ورؤساء أحزاب - يختفون في زي مدنيٍّ - وهم رُسُل المؤسَّسة العسكريَّة.

• وفي الدول الإسلاميَّة الأخرَى لم يكن الحال خيرًا مِنْ ذلك، فالحكم شبه قبائلي مغلَّف بأشكال ديمقراطيَّة هشَّة.

❁ ❁ ❁

▫ غربة الدِّيمُقراطِيَّة في بلادِنا:

تجارب الجزائر، وحركة حماس مع فتح في فلسطين، ومصر، وغيرها تؤكد لنا حقيقة قالها **ابن خلدون** في «مقدمته» منذ مئات السِّنين: «**إنَّ العرب قوم لا تقوم لهم قائمة إلَّا بدين**».

لقد تكوَّن أول مجلس شورى في مصر خلال ثورة **أحمد عرابي**، والوثائق السياسيَّة تقول: إنه منذ دستور عام ١٩٢٣م، تم تشيُّد أول برلمان، ثم اختفى مع ديكتاتوريَّة **الملك فاروق**، ثم قبض العَسْكَر على الحكم بعد ثورة ١٩٥٢م، وأعادوا البرلمان مقيَّدًا

بالأغلال، وسَمَّوه «**مجلس الأمَّة**»، وظلَّ هذا المجلس في ذاكرة الأمَّة كالشبح يخيف الناس والشعوب، وتحت سيطرة الدهماء مِنَ الحزب الحاكم عن طريق ما يسمَّى «**بديكتاتوريَّة الأغلبيَّة**»، أو إنْ شِئْت فقُل: «**ديمقراطيَّة الأنياب**» التي تعتمد على موافقة مِنْ قِبَل أغلبيَّة الحزب الحاكم.

ثم جاء عصر **السادات**، وحزب مصر ثم الحزب الوطني، واشتهرت نسبة ٩٩٪، حتى ختمها بديمقراطيَّة الأنياب، وزجَّ بكل مخالفيه ومعارضيه في السجون، ثم جاء بعده **الرئيس المخلوع**، وضيَّع البلادَ والعبادَ.

فهل تستطيع الدِّيمُقراطِيَّة - في صورتها الحاليَّة - أنْ تحرس أمن الوطن وتضمن استقراره ؟!

أم هي شعارات، وديكورات ولافتات يمارسون خلف كواليسها أبشع صور النهب للبلاد، وثروات العباد؟!

• كَمْ أعلن **حسني مبارك** في خطبه: «**إنَّه لا رجعة عن المضيِّ في مسيرة الدِّيمُقراطِيَّة، وإنه لَا علاج مِنْ أخطار الدِّيمُقراطِيَّة إلَّا بالمزيد مِنَ الدِّيمُقراطِيَّة؟**».

وفي نفس الوقت يفرض الأحكام العُرفيَّة، والمحاكم العسكريَّة للمدنيين، وقانون الطوارئ، مع استمرار قبضة القوانين سيِّئة السُّمْعة، وتقييد حريَّة تكوين الأحزاب، ورفض تنفيذ أحكام القضاء، وتحرير الموافقة على العديد مِنَ القوانين المرفوضة، وتأجيل التشريعات المطلوبة، كل ذلك مِنْ خلال: ديكتاتوريَّة الأغلبيَّة المسيطرة على مجلس الشعب، حتى فقدت مسيرة الدِّيمُقراطِيَّة مصداقيَّتَها بين المواطنين.

وفقدت معظم الأحزاب الأخرى مصداقيَّتها لدى المواطنين، وكان تساؤلهم: إذا كانت قوى المعارضة تتَّهم الحكومة بالفساد والفشل وعدم المصداقيَّة وتزوير الانتخابات، **فلماذا تبقى حتى الآن داخل مجلس الشعب؟ هل هو إصرار على التغيير أم على قبض المرتبات الشهريَّة ومكافآت الجلسات ؟!**

لقد صارت مؤسَّساتٍ وهميَّةً هُلاميَّةً، أو بمعنًى أدقَّ أحزابًا مِنْ ورق (كما يقول الأستاذ/ **حامد سليمان**)[١].

• ليس بالشعارات وحدَها يمكن أنْ تحيا الشعوب، وهل هناك مؤامرة أخبث مِنْ أنْ تَعِد شعبًا بأكمله بجنَّة الدِّيمُقراطِيَّة، بينما كل ممارساتك السابقة واللاحقة تؤكِّد أنك ستقذف به في النهاية إلى جحيم الديكتاتوريَّة.

• مَنْ يضمَن للشَّعب عدمَ انتقال روح الديكتاتوريَّة مِنْ تلك الأحزاب إلى نظام الحكم إذا ما حصل أحد الأحزاب على الأغلبيَّة في البرلمان، **مَنْ يضمن ألاَّ تنتقل الزعامة التاريخيَّة داخل الحزب إلى رئاسة الدولة فتصدر الأكثريَّة البرلمانيَّة التي تعودت على التبعيَّة داخل الحزب الزعامة التاريخيَّة المزعومة على كرسي الحكم مدى الحياة؟!**

• إنَّ المتطلِّع للمعارك والتصريحات داخل الأحزاب، وديكتاتوريَّة رئيس الحزب المتسلِّطة تجعلنا نتساءل عن الضمانات: **مَنْ يضمن .. ومَنْ يضمن؟!**

• لقد نجح الإخوان المسلمون في مصر، وبالرغم مِنْ أنَّ هذا التغيير لم ولن يزعج الحكومة لأنه لا يناقض قانون الأحزاب ولا الدستور، وثار رُعْب الكارهين لأي توجُّه إسلاميٍّ - مهما كان معتدلًا أو مستنيرًا -، والشماعة دائمًا جاهزة بوصم أي توجُّهٍ إسلاميٍّ - كذبًا - بالإرهاب والتطرُّف، تمامًا كما تفعل الدوائر الأجنبيَّة التي تخشى أيَّة يقظة أو نهضة في أيَّة دولة إسلاميَّة، والأسباب لا يجهلها أحد.

• لقد أصبحت الدِّيمُقراطِيَّة في بلادنا بأحزابها وبرلماناتها وكل أجهزتها مجرد «**ديكور**» مسخَّر «**بالدستور**» و«**القانون**» لبقاء رئيس الدولة حاكمًا فردًا مدى الحياة إذا أراد.

• فمتى نقف وقفة مع الواقع والحاضر نعمل بجدٍّ وهمّة ونشاط ومثابرة على تدمير القيود والأغلال التي تكبِّل حركة تقدُّمنا إلى الإمام، وعودة مجدنا الذي فقدناه بالتبعيَّة،

---

(١) هذا الزمان، ص (٩٧).

ونقوم بتطهير جميع أجهزتنا مِنْ كلِّ رموز الفساد بلا مجاملة، ونضع الخطط التي تمكِّنُنا مِنْ اللِّحاق بأمم بدأت مسيرتها الحديثة معنا فتقدَّمت وتخلَّفنا، مثل: اليابان وكوريا والهند وماليزيا، وقفة مع المستقبل نعاهد الله ﷻ أنْ نحافظ على عقيدتنا وهُوِيَّتنا، وأنْ نقوم بتنفيذ كل الخطط التي تحقق لنا المشروع الكبير بقيام اتحاد الجمهوريَّات الإسلاميَّة، للِّحاق بالرَّكب الحضاريِّ، وتحقيق التكامل والتوازن بين التكتُّلات الأخرى العالميَّة، قبل أنْ يَدهمنا الاحتلال مِنْ جديد، ونتعثَّر على أعتاب الفُرقة والانقسامات والفَوضَى التي يُريدها لنا أعداء الإسلام.

• لن يُجدِيَ استثمار واستيراد التقدم التكنولوجيِّ الصناعيِّ والزراعيِّ والعسكريِّ دون أنْ نستثمر ما في تراثنا وما لدينا مِنْ إمكانيَّات ومواهب مَنَّ الله بها علينا في بلادنا، وخاصة قيم: النظام، والتعاون، وإتقان العمل، والأخوَّة، والتكاتف. لن يكون لها شأن أو تقدُّم عندما نحقِّق آمال الأعداء وننسلخ عن الذات.

فطريق التقدُّم الصحيح والتحضُّر هو الانفتاح على ما ينفعنا مِنْ حضارة الغرب، مع المحافظة في الوقت ذاته على الدين وعبق القيم والمبادئ، ولا ننفصل عن جذورنا، فهذا هو: التغيير مِنْ أجل التميز، والتوازن مِنْ أجل الاستمرار [1].

• لقد أصبحنا نعيش في غابة مِنَ القوانين، بلا ضمير مِنَ المحامين ورجال الأعمال، ورجال السلطان، وتجَّار المخدرات، يفخرون علنًا بتفصيل القوانين لمصالحهم أو بابتكاراتهم الفذَّة في اللَّف على القانون، مؤكِّدين للجميع أنهم أحقُّ بالسيادة في هذا المجتمع، حتى أصبح المجتمع بلا ضمير، تسوده اللامبالاة والتفكُّك والظلم، وهذا هو مراد الدِّيمُقراطِيَّة الأمريكيَّة للدول العربيَّة، وهو المسمَّى «**الفوضى الخلَّاقة**».

• لا بُدَّ مِنَ احترام القانون، وإحياء إجبار الناس على احترامه، وفرض هذا الاحترام

---

(١) راجع كتاب: «طوِّر نَفْسَك وغيِّر نَمَط حياتك» للمؤلف « يرحمه الله في الدنيا والآخرة ».

على الكبير قبل الصغير، وعلى الغنيِّ قبل الفقير، وأنْ يُوقَع العقاب الرادع على كبار الموظفين الذين يُضْبَطونَ في حوادث رشوة أو استغلال أو مخالفة للقانون واللوائح، من خلال محاكمات سريعة وعاجلة وحاسمة وعادلة، وكذلك العقاب الرادع على اللصوص في أجهزة الحكومة، ومقابل ذلك وضع الحوافز والمكافآت للمخلصين والملتزمين، حتى يُصبح احترام القانون جزءًا مِنْ نسيج المجتمع، ومِنْ سلوكيَّات الأفراد في الحياة اليوميَّة؛ لأنَّ الاستهتار بالقانون لا يَغتالُ الأجهزةَ الحكوميَّةَ فحسب، بل يغتال المجتمع كلَّه.

• هذا بجانب مرض الفهلوة، فالأصل: أنْ يقول الواحد منا ما يستطيع أنْ يفعله، أمَّا البعض منَّا فهو يدَّعي ما لا يستطيع أنْ يفعله، أو ما هو فوق طاقته وإمكانيَّاته، وغالبًا ما يقترن هذا السلوك بالكذب والخِدَاع والادِّعاء، ويستخدم كسلاح لتبرير سرقة المال العام، والاعتداء على حقوق الآخرين، وعدم مراعاة الضمير فيما يُسْنَد إلينا مِنْ أعمال، فأصبحت منتجاتنا سيِّئة التشطيب، مما أدَّى إلى قِلَّة الإنتاج وركود الأسواق، وخراب الذِّمَم، وتدمير خُطط الدول للإصلاح، وإجهاض طموحات الشعوب.

• لا بُدَّ مِنْ إعلان الحرب على هذه السلوكيَّات حتى يُصبح الإنسان العربي أكثر صِدْقًا، وأنْقى ضميرًا، وأعظم عملًا، بعيدًا عن النِّفاق، أو الهروب مِنَ المسئوليَّات، أو خداع الناس، ونَهْب ثروات البلاد.

ولا يمكن تحقيق ذلك إلَّا بتحقيق الإيمان بالله لأنه يهذِّب النَّفس، ويعالج كل هذه السلبيَّات، ثم يتبعها قوانين حازمةٌ منبثِقةٌ مِنَ الحدود التي حدَّها الله ﷻ لمعالجة السَّرِقة والزِّنا والبلطجة، والإفساد في الأرض، والمحاربة لله ﷻ ولرسوله ولعباده، وغيرها مِنَ الانحرافات في ظل حاكم عادل يقوم بالقسط والعدالة الاجتماعيَّة بين الناس.

❁ ❁ ❁

وقفة

الفناء المحتوم

• لقد باءَت كل المحاولات لإسعاد الناس بعيدًا عن خالقها بالفشل الذريع، فالتعامل مع الإنسان (جسد وروح) بدون هدي مِنَ الله كمَنْ يتكلَّم مع عجوز صينيَّة باللُّغة العربيَّة الفصحَى، فلن تفقه شيئًا ولن تستفيد.

فكذلك علاج الروح دون معرفة سرِّ شقائها عبثٌ وزيادة لشقائها.

لقد قدمت الطائرة، والسيارة، والثلاجة، والمكيِّف، ولكنها فشلت أنْ تقدِّم شيئًا واحدًا للإنسان وهو «السعادة» فشلت أنْ تقدم الراحة للقلوب، والطمأنينة للنفوس، والسكينة للإنسان، والاستقرار للضمير والأعصاب.

د. عبد الله عزام وكتاب: «الإسلام ومستقبل البشريَّة»

❁ ❁ ❁

• إنَّ الجنس البشري بكامله يمشي بخطًى حثيثة إلى الهلاك، إنه في النزع الأخير، كذلك الإنسان الجريح المسكين الذي لا يُرجى له شفاء. فكثرة الأخطاء في حضارتنا تجرها إلى الغرق». «المفكر لاموني» نقلًا عن كتاب: «الإسلام أيديولوجيَّة المستقبل» د. مهدي عبود

❁ ❁ ❁

• « إنَّ فصل الدِّين عن العلم هو فناء محتوم للاثنين ».

«تهافت العلمانيَّة» د. عماد الدين خليل

❁ ❁ ❁

• «إنَّ القلق والهموم التي يُعاني منها سكان المدن العصريَّة تتولد عن نظمهم السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، فإنَّ البيئة التي أوجدها العلم للإنسان لا تلائمه؛ لأنها أُنشئت دون اعتبار ذات الإنسان».

«طريقنا إلى النصر» راشد الغنوشي»

❁ ❁ ❁

• «إنَّ الحضارة الغربيَّة في الطور الأخير مِنْ أطوار حياتها، أشبه بالوحش الذي بلغت شراسته النهاية في انتهاكه لكل ما هو معنوي، وبلغ اعتداؤه على تراث السلف وعلى كل مقدَّس ومحرَّم قِمَّتَهُ، ثم أغاص مخالبه في أمعائه فانتزعها وأخذ يمزقها ويلوكها بين فكَّيه بمنتهى الغيظ والتشفي».

«محاضرة د. الفاروق بجامعة كمبل - فيلادليفيا»

❁ ❁ ❁

• «إنَّ الحياة تتأرجح مِنَ اليمين إلى اليسار، مِنَ الألم إلى الملل، وليستغث هذا الغرب المسكين بإلهه إذا شاء لأنه سيظل فريسة مصيره».

د. آرثر شوبنهاور كتاب: «العالم كإرادة وتصور»

❁ ❁ ❁